إشكاليّة ترجمة مصطلح "الخطاب" عند الزّواوي بغّورة بين المهاد اللّسانيّ والإجراء النّقدي.

The problem of translating the term ¨discourse¨ according to Zouaoui BEGHOURA between the linguistic foundation and the critical procedure.

منسي عبد العزيز*[1]؛ نصر الله سعيد.[2]

[1]. جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي؛ تبسة (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: *abdelaziz.menci@univ-tebessa.dz*

[2]. جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي؛ تبسة (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: *said.nasrallah@univ-tebessa.dz*

تاريخ الإرسال: 2023/12/22؛ تاريخ القبول:2024/04/23؛ تاريخ النشر:2024/06/15.

الملخص:

تتموضع هذه الورقة البحثية في سياق مساءلة أحد المصطلحات المركزية في المعارف الإنسانية وتنزيله من القمم الترنسندنتالية وقلبها رأسا على عقب على طاولة التشريح والتفتيت والنقد، وهو مصطلح "الخطاب" الذي تعددت مفاهيمه بتعدد الخلفيات المعرفية والفكرية للباحثين؛ إذ تم شحنه بحمولات دلالية من خلال فعاليات غير بريئة كالفهم والترجمة، فقد أسهم الباحثون والمترجمون في منح هذا المصطلح زخماً معرفيًا، وذلك عبر معاينة مختلف الترجمات وكذا تسليط الضوء على رؤية الزواوي بغورة لترجمة هذا المصطلح واستعمالاته بين المعطى

*المؤلف المراسل.

اللغوي والمعطى النقدي، من خلال الإجابة على الإشكاليات التالية: ما العلاقة التي تربط الترجمة بالمصطلح؟ وما مدى وعي المترجمين العرب بترجمة مصطلح (الخطاب)؟ وهل يمكن لترجمة ما أن تكون بديلًا وظيفيًا عن ترجمة أخرى للمصطلح ذاته؟ وما الإكراهات التي عانى منها الزواوي بغورة من خلال تعاطيه مع مصطلح (discours)؟

الكلمات المفتاحية: خطاب؛ ترجمة؛ الزواوي بغورة؛ مصطلح؛ ممارسات نقدية.

Abstract:

This research paper is situated in the context of questioning one of the central terms in the humanities, and bringing it down from the transcendental heights and turning it upside down on the table of dissection, fragmentation, and criticism. This term is "discourse", whose concepts have multiplied with the multiplicity of the researchers' cognitive and intellectual backgrounds. It has been charged with semantic loads through non-innocent activities such as understanding and translation. Researchers and translators have contributed to giving this term a cognitive momentum, by examining different translations and highlighting the vision of Zouaoui BEGHOURA for translating this term and its uses between the linguistic and critical data, through answering the following problems: What is the relationship between translation and the term? What is the extent of the awareness of Arab translators of the translation of the term (discourse)? Can a translation be a functional alternative to another translation of the same term? What are the constraints that Zouaoui BEGHOURA suffered from through his handling of the term "discourse"?

Keywords: Discourse; Translation; Zouaoui BEGHOURA; Term; Critical practices

مقدمة:

*المؤلف المراسل.

أنتج انفتاح المعارف والحقول البحثية بعضها على بعض إشكاليات فرضت على الثقافة العربية حتمية المواكبة والسعي نحو سد الفجوات والثغور البارزة بينها وبين الثقافات الغربية خاصة، وتعد المصطلحات واحدة من الإشكاليات الواجب احتواؤها تأثيليًا/إيتيمولوجيًا بالقبض على المفاهيم المصاحبة لها والكشف عما ينتظم ضمنها من مكونات الحضارات.

ويعد مصطلح (*discours*) مصطلحًا لغويًا ذا شأن كبير ومركزية بارزة في شتى الحقول المعرفية اللسانية والنقدية والفكرية، وقد تدحرج هذا المصطلح بما يكتنفه من محمولات مفاهيمية بين عدة ترجمات بين المقال والحديث والخطاب، وغيرها، ويعد "الخطاب" أبرز تلك الترجمات لما ناله من شرف تداول وحضور بارز في الأبحاث العربية، أضف إلى ذلك الزخم الكبير من الحمولات الدلالية التي تم شحنه بها حتى صار مصطلحًا/مفهومًا ملتبسًا يتعسر فك كنهه كلما حاولنا الاقتراب منه.

وتأتي هذه الورقة البحثية لتتساءل عن مدى جدوى ترجمة هذا المصطلح، وتتقصى تلك الإشكالات المتعلقة بترجمته بين أوساط الباحثين العرب، ولاسيما لدى الزواوي بغورة الذي يقدم نفسه على الساحة كمشتغل على حل إشكالات الترجمة العربية بوصفه فعلًا مفهوميًا وتأويليًا، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما الترجمة؟ وهل يمكن نقدها؟
- ما العلاقة التي تربط الترجمة بالمصطلح؟
- كيف يكمن دراسة المصطلحات والترجمات؟
- ما مدى وعي المترجمين العرب بترجمة مصطلح (الخطاب)؟

*المؤلف المراسل.

- ما الإشكالات التي شابت الترجمة العربية؟
- وهل يمكن لترجمة ما أن تكون بديلًا وظيفيًا عن ترجمة أخرى للمصطلح ذاته؟
- ما الإكراهات التي عانى منها الزواوي بغورة عن طريق تعاطيه مع مصطلح (*discours*)؟

أولا: بين الترجمة والمصطلح:

إن مصطلح الخطاب يعد من أشد المصطلحات تميعًا وزئبقية، فلا ينفك يأخذ شكل الإناء الذي يوضع فيه، ولاسيما بعد الطروحات التي تبلورت في كتابات ميشيل فوكو (*Michel foucault*) واستقبلتها الثقافة العربية بحفاوة كبيرة، وهنا نقصد الطروحات التي استطاع فيها فوكو أن يحفر لهذا المصطلح سياقًا دلاليًا مميزًا عبر التنظير والاستعمال المكثف في العديد من دراساته، ومن ثمّ فإن مصطلحات مثل المقال، الحديث، قد شاعت في الكتابات العربية الأكاديمية لحقبة زمنية معتبرة، غير أننا في هذا العصر نجد أن أغلب الكتابات تميل إلى تبني مصطلح (الخطاب) من دون المقابلات المذكورة آنفًا، فما سبب ذلك؟ وما الدور الذي لعبه الزواوي بغورة في هذا الجدل؟ وكيف تم التعامل مع هذا المصطلح استقراءً وفهمًا وترجمة ووضعًا واستعمالًا؟ وهل استطاع الزواوي بغورة أن يقدم حلًا لمشكلة فوضى المصطلح وترجمته وفهمه؟

1- الزواوي بغورة والوعي بمفهوم "الخطاب" وترجمته:

يعد الزواوي بغورة واحدًا من أبزر الأكاديميين الجزائريين في الساحة العربية والدولية، لما له من أعمال في الترجمة، ولاسيما ترجمة أعمال ميشيل فوكو، ويعد أيضًا أبرز المتخصصين في فلسفة فوكو، ومن أكثر الباحثين وعيًا بخبايا هذه الفلسفة المطبوعة بسمات ما بعد

*المؤلف المراسل.

الحداثة خاصة الخروج عن كل نظام معرفي تقليدي سائد، ورفض كل أشكال التصنيفات من خلال تقديم أسئلة راديكالية في الأنظمة المعرفية ذاتها، على الرغم من أنه متمرد على كل نظام معرفية يتم تأطير الإنسان داخله.

واستطاع الزواوي بغورة من خلال دراسة جريئة تميزت بالشمولية والتمشي الإبستمولوجي مقاربة مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، حاول فيها إظهار الطابع الكلي للخطاب وذلك بدراسة المفهوم، ومنهج تحليله، ومختلف الممارسات الخطابية وغير الخطابية، ليصل إلى نتائج مفادها أن كل الدراسات السابقة التي طرقت هذا الموضوع "تشترك في ميزة واحدة وهي أنها نظرت إلى الخطاب بوصفه مرحلة من مراحل تفكير فوكو، ولم تدرسه بوصفه مفهومًا كليًا يشمل كل فلسفته" (بغورة، 2000، ص: 89)، وتطرق بغورة إلى الجدل الحاصل في ترجمة مصطلح الخطاب، وبيّن أنه جدل يشكل واحدة من إشكاليات الترجمة الحاصلة في العالم العربي، فانحاز في ذلك السياق إلى انتقاء المقابل العربية (خطاب)، مبررًا أنه يجب أن يكون الأكثر شيوعًا، وأنه المقابل الأقرب للفظة (*Discours*)، فضلا عن كونه الأكثر شيوعًا وحضورًا خاصة بعدما "تبناه ملتقى (ابن رشيق) المنعقد بالجزائر في شهر ماي 1980، وشاع مؤخرًا في الأدبيات العربية أفضل من (الحديث)، أو (القول)، وأشمل من (المقال) وأيسر من (الأقاويل) المستعملة عند قدامى الفلاسفة العرب"(دياب، 1991، ص: 7) وذلك للمعطيين النقدي واللغوي على السواء، فالمصطلح تاريخيًا "مقولة من مقولات علم المنطق، تعني التعبير عن فكر متدرج بواسطة قضايا مترابطة بعدها أجيز إطلاقه على العمل البحثي بدءًا من القرن السابع عشر، ويمكن استحضار قول إيميل

*المؤلف المراسل.

بنفنست (*Émile Benveniste*) "كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكتاب، وتفترض نية التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها" (Benveniste, 1966, p. 241)، وكل هذا يصب في المفهوم المتعارف عليه لمصطلح (الخطاب)، وبناء على ما تقدم فإن الزواوي بغورة يقول في حسم هذا الجدل ""نفضلُ استعماله -يقصد مصطلح (الخطاب)- بدلًا من (المقال) أو غيره من الترجمات" (بغورة، 2000، ص: 88)، ومن ثمّ؛ فبغورة ينأى بنفسه عن فوضى الترجمات، مستعينًا بالترجمة الأشهر والأنسب - حسب رأيه- رغم أنه يملك باعا طويلا في ترجمة الأعمال الفوكوية والفرنسية عمومًا ويؤكد ذلك قوله: "قد ارتفعت منهجيًا عن هذا الخلط" (بغورة، 2000، ص: 6)، ونستنتج من هذا أن الزواوي بغورة يحاول إرساء الشمولية في دراسته بتوحيد المصطلحات بدل الانتقال من ترجمة إلى أخرى، ويسعى إلى حسم الجدل الحاصل في هذا المصطلح المركزي في الدراسات اللغوية والنقدية والفكرية، ومن جانب آخر فإن ارتباط مصطلح (الخطاب) بأعمال ميشيل فوكو من جهة، وتخصص الزواوي بغورة في دراسة أعمال ميشيل فوكو منذ ثمانينيات القرن الماضي من جهة أخرى، ولاسيما أن دراساته صارت مرجعًا ومدخلًا لفلسفة فوكو، كل ذلك أسهم في إرساء المقابل اللغوي (الخطاب) وهيمنته أمام المقابلات والترجمات الأخرى.

2- الترجمة؛ مقترب مفهومي:

كانت ولا تزال الترجمة واحدة من أبرز أدوات التلاقح الفكري والثقافي والتقارب بين الشعوب والأمم والحضارات، وتعد أيضا واحدة من أهم الوسائل التي تحقق التواصل بين المجتمعات، فالله ﷻ يقول:

*المؤلف المراسل.

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣"(سورة الحجرات، الآية: 13)، فالآية الكريمة توضح قيمة الالتقاء بالآخر والتعرف عليه من النواحي الثقافية والذهنية، وقد بدأت دراسة الترجمة بوصفها مبحثا أكاديميا في النصف الثاني من القرن العشرين، "ويرجع الفضل إلى الباحث الألماني جيمس هولمز (*James Holmes*)، الذي أطلق اسم "دراسات الترجمة" على هذا المبحث، في بحث ألقاه في مؤتمر كوبنهاجن للغويات التطبيقية عام 1972"(عارف، 2019، ص: 49)، وإن المتمعن في الترجمة بوصفها فعلًا أو ممارسة سيجد أنها ليست حديثةً حداثة الدراسات المتخصصة فيها، فلو حفرنا لوجدنا لها مجموعة آثار عند الشعوب القديمة عربًا وغربًا، ويمكن الاستشهاد بالمصطلح الآرامي (ترجمونو) "الذي عُدَّ أصلًا لكلمة ترجمان في اللغة العربية"(البقاعي، 2013، ص: 88)، وبمقترب زمني أقل بُعدًا نجد أن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ﷺ قد أطلق عليه اسم: ترجمان، هذا اللفظ الذي نجد له مكانة وحضورًا في عهد الدولة العثمانية على كل من يقوم بترجمة الكلام بين شعوب الشرق الأوسط والأوروبيين، من أمثال: أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي، المعروف عند الغربيين باسم جوهانيتيوس (*Johannitius*)، الذي برع في الترجمة بين لغات عدة كاليونانية والسريانية والفارسية، من خلال ترجمته عدة أعمال مثل: كتاب إقليدس، أعمال غالينوس، أبقراط، وأرسطو، وغيرهم.

وإن المتمعن في المعاجم اللغوية عربية كانت أم أجنبية يلحظ اختلافًا وجدلًا في تحديد مفهوم الترجمة، وهو راجع إلى تعدد الميادين واختلاف الحقول المعرفية التي دخلتها الترجمة التي اكتسبت مفهومًا

*المؤلف المراسل.

مستقلًا في كل مجال علمي تدخله، وعلى الرغم من هذا الاختلاف فكل تلك المفاهيم تتقارب سواء على المستوى اللغوي أم الفكري أم حتى الممارسة النقدية، فكلها "تحمل معنيين متكاملين هما التفسير (*Explication*)، والنقل/التحويل (*Transformation*)"(عناني، 2000، ص: 7)، وهذا يعني أن الترجمة هي فهم ونقل وإفهام.

وفي هذا السياق؛ يوضح ابن منظور معنى الترجمة في قوله: "التُّرْجُمَانُ، والتَّرْجَمَانُ: المُفَسِّرُ لِلّسَانِ، وَهُوَ الّذِي يُتَرْجِمُ؛ أَيْ يَنْقُلُهُ مِنْ لُغَةٍ إِلَى أُخْرَى، وَالجَمْعُ: التَّرَاجِم، فَقَدْ تَرْجَمَهُ وَتَرْجَمَ عَنْهُ" (ابن منظور، 2001، ص: 229)، وتطرق الفيروز أبادي إلى الترجمة مع ذكر عدة صيغ صرفية لها، وأشار أن "الترجمان هو المفسر للكلام"(الفيروز أبادي، 2005، ص: 114)، أما ابن جنى فقد نقل ابن منظور عنه أن قال: "الترجمان (بضم التاء وفتحها) يفسر الكلام عند نقله سواء في اللغة نفسها، أم من لغة إلى أخرى" (ابن منظور، 2001، ص: 229)، ونستشف من كل ذلك أن الترجمة هي نقل وتفسير الكلام، ولا يشترط في هذه العملية أن تكون من لغة إلى لغة، فقد تكون داخل اللسان الواحد، وهذا ما يتقاطع مع قول هاليداي (*Halliday*) الذي عدَّ "كل قراءة لنص هي ترجمة وتفسير له" (عناني، 2003، ص: 6)، وقد يتشابه ذلك أيضًا مع مصطلح (إعادة الصياغة) عند رومان جاكبسون (*Roman Jacobson*)، وهو المصطلح الذي ذكره جاكبسون بالقول إنه: "تفسير العلامات اللفظية بعلامات لفظية أخرى من اللغة نفسها" (عناني، 2003، ص: 6)، وإذا استقرأنا ما تقدم؛ فإن مفهوم الترجمة يستبين بكونها تدور حول معنيين؛ الأول: تفسير/شرح الكلام داخل اللسان/النظام اللغوي الواحد، أو من لغة إلى أخرى، والثاني: هو نقل الكلام من لغة إلى لغة

*المؤلف المراسل.

أخرى، وأن المترجم هو الوسيط الذي يقوم بتلك العمليات، ولّما كنّا في سياق الحديث عن النقل والإيضاح؛ فإننا قد نستغني عن المعاني اللغوية التي وردت في حق الترجمة كتدوين سير الأعلام والمشهورين.

والمعنى نفسه -تقريبًا- ورد مفهوم الترجمة في المعاجم الأجنبية التي عدت لفظة: (*Traduction*) مشتقة من الجذر اللاتيني (*traducer*) الذي يحمل معنى التمرير (عناني، 2003، ص: 63).

أما عن المعاني الاصطلاحية للترجمة؛ فقد أورد مجدي وهبة وكامل المهندس تعريفًا في معجمهما قائلًا: "الترجمة هي إعادة كتابة موضوع معين بلغة غير اللغة التي كتب بها أصلًا" (وهبة و المهندس، 1984، ص: 93)، وهذا يعني نقل الكلمات والألفاظ والمعاني من لغة إلى أخرى، وفي السياق ذاته ذهب محمد الديداوي حينما عدَّ الترجمة "كتابة في اللغة المترجَم إليها لنقل المعاني وفقًا للغرض المتوخى منها، وهي عملية انتقال من لغة إلى أخرى فيما بين ثقافتين لتبيين مراد المُترجَم عنه للمُترجَم له"(الديداوي، 2007، ص: 62)، وهذا ما يوضح وجوب توفر مترجِم: وهو الذي يقوم بعملية الترجمة، ومترجَم له: المستقبل/المتلقي للكلام بعد ترجمته، ومترجَم: وهو الكلام الذي تتم ترجمته، وذلك بالحفاظ على الهدف/الغرض المنشود في النص الأصلي.

وقد تباين المفهوم الاصطلاحي للترجمة في كتب ودراسات أخرى، فكل راح يصوغه حسب توجهاته وحسب أغراضها أو أنواعها، ما جعل من المصطلح مشتركًا لفظيًا، يحيل على عديد المعاني، وقد جمعها محمد عناني في قوله: "فهي -يقصد الترجمة- قد تعني المجال كله، أو عملية الترجمة أو النص المترجم"(عناني، 2000، ص: 6)، ومن ثمّ؛ فالترجمة قد تعني العملية/الممارسة؛ أي ما يقوم به المترجم من

*المؤلف المراسل.

خطوات عند نقله نصًا من لغة إلى لغة أخرى، وهذا ما يجعلها مرتبطة بالذهن، وقد تعني: المنتوج النهائي، وهذا ما يجعلها نتيجة (النص الذي تم إنتاجه)، وقد تعني الحقل/الميدان المعرفي الذي يجمع نظامين لغويين متباينين. وقد نصل هنا إلى نتيجة مفادها: إنّ الترجمة هي العلم والعملية والمنتوج.

ثم إن عملية الترجمة تختص بالكثير من المباحث الأكاديمية، فهناك الترجمة الأدبية، الترجمة، الدينية، الترجمة القانونية، وهناك ترجمة تتعلق بالمصطلح بوصفها ركيزة، وحجر أساس في بناء معرفة خصبة ولغة علمية، فارتبطت الترجمة بالمصطلحات، ولاسيما فيما تعلق باستقبال الآخر الغربي في شتى المجالات المعرفية، فما العلاقة التي تجمع الترجمة بالمصطلح؟

ثانيا: واقع مصطلح الخطاب:

1- جينالوجيا العلاقة بين الترجمة والمصطلح:

تستوجب عملية وضع المصطلحات حذرًا شديدًا لأن الترجمة فن يسترعي القدر الكبير من الدقة والسعة المعرفية وحتى الإدراك الحسي بالأنظمة اللغوية المتداولة، وتعد ترجمة المصطلحات عملية في غاية الأهمية، وقد نُرجع لذلك لسببين رئيسين؛ أولهما هو كون المصطلحات مفاتيح العلوم وبوابة من بوابات المثاقفة والتلقي والاستقبال، وثانيهما هو الحفاظ على اللغة من انهيار وشيك بعد اصطدام الحضارات وتلاقح الأفكار والغزو الأجنبي، ومن هذا المنطلق ذهب المترجمون والمتخصصون العرب -في سعيهم إلى مواكبة العلوم الغربية- إلى الاستعانة بآليات مثل: الاقتراض، النحت، الاشتقاق، التعريب، استعمال المهجور/المهمل من اللغة، ...إلخ، والمصطلح هو "كل مفردة تؤدي وظيفة

*المؤلف المراسل.

محددة في مجال من مجالات المعرفية الإنسانية لدى جماعة من المختصين" (حلام، 2001، ص: 144)، وهو "اللفظ الذي يضعه فرد أو هيئة لدلالة علمية أو حضارية معينة، بشرط أن يكون قد تواضع عليه المشتغلون بذلك العلم أو المعنيون بذلك الجانب من الحضارة"(الملائكة، 1992، ص: 158) فالمصطلح هو لفظة حاملة لمفهوم محدد، يتم الاتفاق عليه واستعماله في سياق معرفي معين.

وتختص المصطلحية/علم المصطلح بدراسة المصطلحات والمفاهيم المحمولة فيها، و"تبحث في العلاقة بين تلك المفاهيم العلمية والألفاظ اللغوية التي تعبر عنها" (حلام، 2001، ص: 144)، وبالتمعن في هذا القول؛ نجد أن الترجمة بوصفها علمًا ومجالًا معرفيًا تربطه علاقة وطيدة بعلم المصطلح بالنظر إلى اهتمامهما بالمصطلح، واتخاذهما اللغة موضوعًا للدراسة ومضمونًا وهدفًا ووسيلة، وإن رصد هذه العلاقة وتقصيها والنبش في أصلها يشوبه شيء من الصعوبة بسبب استعمال المترجمين بعض المصطلحات بصورة متذبذبة تتجلى في "استعانتهم بالقواميس المتخصصة في المصطلحات، أضف إلى ذلك أن بعض المصطلحات تعد ضرورة حتمية في ترجمة بعض النصوص العلمية والتقنية المتخصصة" (القاسمي، 2019، ص: 334)، وقام خالد اليعبودي برصد بعض الجوانب التي تبين أصل العلاقة بينهما، وهي:

- كلاهما من أعرق الممارسات وأقدمها، قبل التنظير وتأسيس مبادئهما وأركانهما في أواسط القرن الماضي.
- يشترك كلاهما في الصناعة اللغوية، غير أن المصطلحية تعتمد على طرائقَ عدة منها الترجمة فضلا عن التقييس والتوليد والجرد والتوثيق ....

*المؤلف المراسل.

- كلاهما يهدف إلى وضع وحدات لغوية جديدة أو مقتبسة، كما أن موضوعهما يتحدد في نظام ونسق لغوي، باستعمال اللغة نفسها، سواء كانت لغة واحدة أم لغات عدة. (اليعبودي، 2004، ص ص: 60 - 61)

ومن ثمّ؛ -وبعد هذا العرض- يتضح لنا تجذر العلاقة بين الترجمة والمصطلحية بوصفهما علمين يعمدان إلى التعامل مع المصطلحات حسب آليات وتقنيات وأدوات متفردة، تجعل منهما علمين متباينين ومتلاقحين إلى حد بعيد جدًا.

2- في ترجمات المصطلح:

يكتنف مصطلح الخطاب في طياته عديد المشكلات المتوالدة التي يصعب تصنيفها، فقد عاش ارتحالًا وشهد أنواعًا من الخلل والقصور والتباين في تحديد مفهومه، فصار يشكل عقبة كبرى، ويوضح يوسف وغليسي سبب ذلك في قوله: "وجه الإشكالية في ذلك أن المصطلح الأجنبي قد ينقل بمصطلح عربي مبهم الحد والمفهوم، أو أن المفهوم الغربي الواحد قد ينقل بعشرات المصطلحات العربية المترادفة أمامه، أو أن المصطلح العربي الواحد قد يردُ مقابلًا لمفهومين غربيين أو أكثر في الوقت ذاته" (وغليسي، 2008، ص ص: 53- 54)، وما مصطلح الخطاب إلا واحدٌ من تلك المصطلحات التي اصطدمت بهذه الإشكاليات، ولاسيما إشكالية الترجمة، فقد عاش هذا المصطلح حياة من التلون والالتباس في ارتحاله بين الأعصر إلى غاية ستينيات القرن الماضي التي "مثلت أبرز منعطفات الثورة المعرفية وبؤرتها المتفجرة بالمشكلات في مجال وضع المصطلحات اللسانية والنقدية ترجمة وتعريبًا" (ثامر، 1994، ص: 169)، فتفجر الجدل حول هذا المصطلح،

*المؤلف المراسل.

فقبل ذلك الوقت كان الخطاب يحمل عديد المفاهيم، منها: المحادثة/الحديث الحواري، إخراج الكلام مشافهة أو كتابة، الرسالة، المعنى المتداول بين المتخاطبين، العملية التواصلية، البيان، التبيان، الجدل، تبادل الأفكار، النص، المقال.... إلخ.

وإن هذا الكم من المصطلحات التي اقترنت بالمفهوم، أو تلك المفاهيم الذي اقترنت بالمصطلح تعد إشارة واضحة ودلالة جلية على القيمة الإبستمولوجية لهذا الجدل، وذلك المصطلح تحديدًا.

فبعد صدور أعمال ميشيل فوكو، وترجمتها واستقبالها في الثقافة العربية تعرف العالم العربي على كمية الدلالات التي ارتبطت بهذا المصطلح، حتى غدا لدى بعض الدارسين يعُدّون كل شيء خطابًا، وذلك للحمولات الدلالية التي تم شحنه بها ووفد بها إلينا عن طريق الترجمة، فنال حظًا وافرًا منها، واقترب منه المترجمون العرب يحاولون إيجاد بديل مناسب في اللغة العربية للفظة (*discours*) فتمت ترجمتها إلى: مقال، حديث، نص ، قول، وفي هذا السياق نجد عدة باحثين عرب قد اعتمدوا هذه الترجمات، مثل: يمنى العيد التي استعملت لفظة (القول) في كتابها (القول الشعري)، وفي ذلك الاختيار تقول: " ونحن اليوم نقول: قول شعري، وحسب بعضهم خطاب شعري مقابل قولنا، مشيرين بذلك إلى جذر مشترك هو القول أو الخطاب، ... ومن هذا المستوى يتخصص القول في أجناس لها حقولها الثقافية المتميزة" (العيد، 1987، ص: 10)، وتنتهي يمنى اليد إلى تعريف القول على أنه: "فاعلية يمارسها متكلم في مكان اجتماعي" (العيد، 1987، ص: 12)، وهذا التعريف يتماثل -بنسبة كبيرة- مع تعريف وليد منير للخطاب في قوله: "جملة من المنطوقات أو التشكيلات الأدائية التي تخلق تفاعلًا حواريًا مع المجال الاجتماعي"

*المؤلف المراسل.

(منير، 1997، ص: 17)، ويتقارب مع رؤية أصحاب المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب الذين جعلوا من الخطاب مقترنًا بالسياق الاجتماعي، ولا تعريف جون ميشيل آدم (*Jean-Michel Adam*) الذي قال إنّ الخطاب هو: "كلام يُنجز في ظرفية تعامل اجتماعية" (حنا و آخران، 1997، ص: 40)، ولا يبتعد عن تعريف ميشيل فوكو الذي ذكر فيه أن الخطاب هو: "إنتاج ذهني يقوم على منطق داخلي، وله ارتباطات مؤسسية" (فوكو، د.ت، ص: 7)، ونفهم من ذلك أن يمنى العيد اختارت مصطلح "القول" بدلًا عن "الخطاب"، ويرى الباحث أنه كان من الأجدر بيمنى العيد الجنوح لمصطلح الخطاب بدل الانعطاف لهذه المصطلحات المتاخمة، ولاسيما أنها لم تتجاوز المفاهيم المقترحة لمصطلح الخطاب.

ونجد أيضًا في سياق آخر المترجم محمود محمد الخضيري الذي ترجم كتاب (*Discours de la methode*) الذي نشره رينيه ديكارت (*René Descartes*) سنة 1637، ووضع له عنوانًا هو: (مقال في المنهج)، وبذلك فالخضيري قد استعان بلفظة "المقال" بدل الخطاب في ترجمته من دون أن يوضح سبب اختيار لفظة المقال دون غيرها، ونجد الأمر ذاته عند يوسف كرم في كتابه (تاريخ الفلسفة الحديثة) أين أشار لكتاب ديكارت بـ: (المقال) أو (مقال في المنهج)، ويمكن الاستشهاد بالعبارات التالية: "هذا ما نقرأ في «المقال في المنهج» ... هذا المنهج الذي سيلعنه في «المقال» ... الفصل الخامس من «المقال»"(كرم، 2012، ص: 67، 69)، ونستشف من ذلك الشيوع الكبير للمقابل العربي "المقال" بدل الخطاب الذي يعد أكثر شيوعًا في الوقت الحالي.

وفي سياق كتابات ديكارت نجد عمر الشارني قد ترجمَ كتاب (*Discourse on Method*) إلى (حديث الطريقة) وترجمَهُ جميل صليبَا

*المؤلف المراسل.

إلى (مقالة الطريقة)، وهذا ما يؤكد بشكل جلي اللبس الذي اكتنف مصطلح الخطاب بعد ترجمته إلى العربية.

ومن بين أبرز من وقع في هذا المطب نجد المفكر علي حرب الذي تبنى مصطلح "المقال" بوصفه مقابلًا للفظتي (*Discours*) و(*Discourse*) في الموسوعة الفلسفية العربية (حرب و آخرون، 1986، ص: 770)، وقد برر معن زيادة ذلك الاختيار بالقول : "اختلف كتاب الفلسفة العرب المعاصرون في تعريب مصطلح (*Discours*) كما اختلفوا في مصطلح (*Method*)، ... واضح أن الترجمة استعملت مصطلح (مقال) في جميع التعريبات على الرغم من اختلافها، إلا أن تعريبات أحدث بدأت تستعمل مصطلح (خطاب) بوصفه مقابلًا لـ: (*Discours*) ... ويلحظ استعمال مصطلح (خطاب) لدى كتاب المغرب العربي وبعض كتاب المشرق، كما نلحظ شيوع مصطلح (خطاب) في الكتابات الإيديولوجية والسياسية المتخصصة والصحفية اليومية، إلا أننا رجحنا مصطلح (المقال) على مصطلح (خطاب) نظرًا للإحالات الدلالية البنائية الاشتقاقية التي يتضمنها في مستوى الكتابات الفلسفية المتخصصة، وإذا كان للفكر المتأمل أن يسجل الاحتمالات المستقبلية للمصطلحين؛ فإن الترجيح يمكن أن يُثبت مصطلح (مقال) في الكتابات الفلسفية بينما يقترح تثبيت مصطلح (خطاب) في الكتابات الإيديولوجية أكاديميةً كانت أو صحفية. وليكن ترجيحنا هذا بمثابة اقتراح تمايزي يمكن قبوله كما يمكن رفضه، هذا مع وعينا المسبق بمحاولات رد الفلسفة إلى الإيديولوجيا ردًا تطابقيًا حسب بعض الاجتهادات الفلسفية والمعرفية والتفسيرية" (حرب و آخرون، 1986، ص: 773)، وبالتأمل في كتابات علي حرب نجد أنه قد حاد عن مصطلح (المقال) معتمدًا مصطلح

*المؤلف المراسل.

(الخطاب) لاحقًا في دراسته حول النقد الكانطي في كتابه (نقد النص)، الذي يصف فيها الخطاب "بوصفه ممارسة في إنتاج المعنى تتجسد في هذا الشريط من الكلمات المضمومة، التي تؤلف في تسلسلها تشكيلًا خطابيًا" وهي الدراسة التي وردت فيها العبارات التالية: "الخطاب الفلسفي، إنه خطاب، تشكيل خطابي، أنشأ خطابًا، الخطاب الكنطي، .... إلخ"(حرب، 2005، ص ص: 237- 238).

خاتمة:

من خلال ما تقدم يمكن أن نجمل أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة في النتائج الآتية:

أولا: تعد الترجمة من أهم أدوات نقل المعارف وتلاقح الثقافات، لكنّها تواجه صعوبات جمة في نقل المصطلحات المترجمة، لاسيما اللغوية والنقدية منها، وعلى الرغم من غموضها وصعوبتها، تبقى ترجمتها ممكنة شرط الالتزام بضوابطها لتجنب لبس الانتقال وفوضى التعدد، وقد حاولتْ هذه الدراسة جهد الإمكان أن تثبت فرضية مفادها "أن توحيد المصطلحات في الدراسات العربية يُعدّ خطوة ضرورية وحاسمة لضمان وحدة تطور المنجز البحثي العربي، وجعله أكثر صلابة أمام هيمنة الخطاب الغربي".

ثانيا: تجمع الترجمة بين التفسير والنقل أو التحويل، ولها علاقة وثيقة بالمصطلحية؛ حيث تعملان معًا على صناعة اللغة وفقًا لنسق خاص، لكن ترجمة المصطلحات اللغوية والنقدية تزداد صعوبةً بسبب الغموض والتعقيد الذي يكتنفها، ناهيك عن اختلاف منهجيات وطرائق صياغتها وتوليدها؛ حيث يزداد الأمر تعقيدًا مع تعدد المقابلات العربية للمصطلح

*المؤلف المراسل.

الأجنبي الواحد، مثل مصطلح (*Discours*) الذي يُقابَل بعدة مصطلحات عربية مثل: "خطاب"، "قول" و"حديث"... وغيرها.

ثالثا: إن هذا التعدد أدى إلى جدل واسع بين الباحثين، لكن المفكر الجزائري الزواوي بغورة كان له موقف حاسم تجلى في نشره لمصطلح "الخطاب" بشكل واسع بعد انعقاد ملتقى ابن رشيق في الجزائر سنة 1980، وصدور أعماله التي قدمت التبريرات المناسبة وحسمت الجدل حول ترجمة مصطلح (*Discours*) واعتماد المقابل العربي (*Discours*).

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1- البقاعي محمد، (2013). **الترجمة والعولمة**، ط1. بيروت: منشورات ضفاف.

2- ثامر فضل، (1994). **اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث**، دط. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

3- جميل الملائكة، (1992). «الصعوبات المفتعلة على درب التعريب». **مجلة مجمع اللغة العربية**، مجمع اللغة العربية الأردني، ع30، ص. ص. (27، 40).

4- حرب علي وآخرون، (1986). **الموسوعة الفلسفية العربية**، مج1. ط1. بيروت: معهد الإنماء العربي.

5- حرب علي، (2005). **نقد النص**، ط4. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

6- حلام الجيلالي، (2001). «ترجمة المصطلح: أهميتها ووسائل تنميتها». **مجلة المترجم**، جامعة وهران1، مج1، ع1، ص. ص (143، 151).

7- حنا سامي عياد وآخران، (1997). **معجم اللسانيات الحديثة (إنجليزي-عربي)**، ط7. بيروت: مكتبة ناشرون.

8- دياب محمد حافظ، (1991). **سيد قطب؛ الخطاب والإيديولوجيا**. د. ط. الجزائر العاصمة: دار موفم للنشر.

*المؤلف المراسل.

9- الديداوي محمد، (2007). **مفاهيم الترجمة**، ط1. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

10- زواوي بغورة، (2000). **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو**، د.ط. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

11- عارف هبة الله محمود، (2019). «دراسات الترجمة؛ النشأة والتطور». **مجلة عالم الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع 180، ص. ص (32، 55).

12- عناني محمد، (2000). **فن الترجمة**، ط5. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.

13- عناني محمد، (2003). **نظرية الترجمة الحديثة**، ط1. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

14- فوكو ميشيل، (دت). **نظام الخطاب**، ترجمة محمد سبيلا. دط. بيروت: دار التنوير.

15- الفيروز أبادي أبو طاهر محمد بن يعقوب، (2005). **القاموس المحيط**. تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ج4. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة.

16- القاسمي عليّ، (2019). **علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية**، ط2. بيروت: مكتبة ناشرون.

17- كرم يوسف، (2012). **تاريخ الفلسفة الحديثة**، د. ط. القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر.

18- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي، (2001). **لسان العرب**، مج12. ط2. بيروت: دار صادر.

19- منير وليد، (1997). **النص القرآني من الجملة إلى العالم**، ط1. فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

20- وغليسي يوسف، (2008). **إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد**، ط1. الجزائر: منشورات الاختلاف.

*المؤلف المراسل.

21- وهبة مجدي وكامل المهندس، (1984). **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، دط. بيروت: مكتبة لبنان.

22- اليعبودي خالد، (2004). **المصطلحية وواقع العمل المصطلحي في العالم العربي**، ط1. المغرب: دار ما بعد الحداثة.

23- يمنى العيد، (1987). **في القول الشعري**، ط1. المغرب: دار توبقال.

24- Emile Benveniste, (1966). ***Problèmes de linguistique générale***, France: Ed Gallimard.

*المؤلف المراسل.